Patterns Of Arabic Poetic Vision In The Collection Of Al-Abbas Bin Mardas Al-Sulami

أنماط الرؤيا الشعرية في ديوان العباس بن مرداس السلمي

Mahmood Ahmed Shakir Ghadeeb
Department Of Arabic And Islamic Studies, University of Baghdad, Iraq
doctormahmood@cois.uobaghdad.edu.iq

Abstract
A poetic vision appeared in the poem of Al-Abbas bin Mardas Al-Sulami. He lived in the eras of pre-Islamic times and the emergence of Islam. The focus of this research: is the study of poetic text in the pre-Islamic era and the era of early Islam. The research followed a method in treating poetic texts, as it is based on presenting poetic texts from the collection of Al-Abbas bin Mardas, explaining the features of his poetic vision, and examining all the external factors that surrounded the poet and influenced his vision and all his thoughts. The results of this research was that Al-Abbas Ibn Mardas revealed some of the positions that he found contradicted the authentic Arab value before the advent of Islam, and the poet Abbas bin Mardas tried to reject them, including his rejection of some aspects of social injustice, which he found to be a cause of the spread of hatred. He tried to break the artistic molds of the ancient Arabic poem with direct influence from Islam. The idea of supporting the Prophet, peace and blessings be upon him, was the focus of this poet's vision in the Islamic era. This research also found a clear influence from this poet on other poets of the era, such as Hassan bin Thabit, Kaab bin Malik Al-Ansari, and Kaab bin Zuhair. This research contributes to understanding Arab culture from poetry. This research also contributes to researchers who want to study Arabic language and Arabic poetry as well as the development of Arab thought after the arrival of Islam.
Keywords: Poetical Vision; Arabic; Collection, Abbas Bin Mardas.

المقدمة

اخذ مصطلح الرؤيا ابعادا دلالية كثيرة، فقديما حملت هذه اللفظة معنى الحلم في المنام (al-Ifriqi, no date, p. 14/297)، وفي العصر الحديث شغلت دراسة مصطلح (الرؤيا) مساحة للبحث لدى بعض الباحثين العرب، فجبرا إبراهيم جبرا يقول ان الرؤيا تكون بالعين والقلب ومعهما الحلم، وكذلك هي التطلع الإنساني لما هو افضل (Jabra, 1979 AD, p. 7) بينما ذكر الدكتور علي جعفر العلاق أسبابا لتسمية (الرؤيا)وليست (الرؤية) فقال ان الشعر حين يحكم صلته بالعالم الحسي أي مستوى (الحلم) فهو بذلك يستوعب أجزاء هذا العالم فينصهر العالم الحسي بالمجرد، والحلم بالواقع، والمستقبل بالذكرى، في مزيج واحد متلاحم، كما يعتقد ان الرؤيا الشعرية ليست إنجازا هينا،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

لأنها لا تكتمل لدى الشاعر الا اذا انبثقت عن همٍ مركزي يشغل الشاعر، و يستقطب طاقته الروحية (Al-Alaq, p. 16).

لقد كان للشاعر العباس بن مرداس رؤيا اخذت شكلا إنسانيا واجتماعيا ودينياً، فكان العباس بن مرداس شاعرا رؤيوياً بأمتياز، اثبت جدارته في الخلق والصناعة الشعرية، فاستمد صوره ومعانيه من البيئة التي ينتمي اليها، و لذلك يذهب الدكتور سمير حجازي الى ان شعر الرؤيا يجب ان ينظر اليه على أنه تعبير عن تجارب معينة لعالم ذلك العصر، وإن هذه الرؤيا تعد ظاهرة اجتماعية لا فردية، وانها (أي رؤيا العالم) يجب ان نراها كمشهد غير متناقض، عناصره تبدو في حالة معينة من الترابط، وأنها نظام للفكر يفرض نفسه على جماعة معينة من الناس ، تعيش في ظروف متشابهة (Hijazi, 1980 AD, p. 184)، وهذه الرؤيا اتجاه العالم تنعكس كثيرا على صور الشاعر ولغته ومعانيه، وهو ما ظهر بشكل واضح لدى الشاعر العباس بن مرداس السلمي، في رؤيته الاجتماعية الارشادية، وفي رؤيته الدينية التي نقلت لنا تجربة الدفاع عن الدين الجديد، كما سيظهر لدينا في قابل البحث . اهداف البحث كان الهدف الرئيسي من هذا البحث هو الكشف عن أنماط الرؤيا الشعرية التي ظهرت في شعر العباس بن مرداس، وتأثير البيئة على رؤياه الشعرية، اذ لم يتناول الباحثون فيما مضى، ممن درسوا شعر هذا الشاعر، أنماط رؤياه الشعرية، والتي ظهرت في ديوانه.

منهجية البحث

تعتمد هذه الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي القائم على استقراء النصوص الشعرية، في ديوان العباس بن مرداس السلمي، واستنتاج العديد من أنماط الرؤيا الشعرية، التي انتشرت في ديوان شعره.

نتائج البحث ومناقشتها

رؤيا القيم الاجتماعية القديمة

يسعى الشاعر أحيانا الى تجسيد رؤيا تعبر عن حياة الماضين ممن ربطته بهم الاصرة الاسرية، فيسعى الى نقل تجاربهم وافكارهم وحكمتهم في الحياة، فكانت تتشكل رؤيا الشاعر الاجتماعية أحيانا من خلال تجسيدها الحي لعالم الاسرة والمجتمع، وقد حفلت رؤى الشعراء بتجسيد حبهم وتقديم احاسيسهم باتجاه ابائهم واجدادهم (Al-Awsi, 2020, p. 170). ولعل ذلك يتمثل بشكل صادق وواقعي في قصيدة العباس بن مرداس، والتي تضمنت حكمة والده فقال فيها (al-Sulami, 1991 AD, pp. 45-46).

يا دار أسماءَ بين السَّفحِ فالرُّحبِ أقوَتْ وعفَّى عليها ذاهبُ الحقبِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

فما تَبَيَّنُ منها غيرُ مُنتَضدٍ ... وراسياتٍ ثلاثٍ حولَ مُنْتَصِبِ
وعَرصَةُ الدارِ تَستَنُّ الرياحُ بها ... تحِنُّ فيها حَنينَ الولَّهِ السلُبِ
دارٌ لأسْمَاءَ اذ قلبي بها كَلِفٌ ... وإذ أقرَّبُ منها غيرَ مُقتَرِبِ
إنّ الحبيبَ الذي أمْسَيتُ أهجُرُهُ ... من غيرِ مَقْلِيَةٍ منّي ولاغَضَبِ
أصُدُّ عنهُ ارتِقَاباً أنْ أُلَمَّ بهِ ... ومَنْ يخفْ قَالَةَ الواشينَ يَرتَقِبِ
إنّ حَويتُ على الأقوامِ مكرُمةً ... قِدمَاً وحذَّرني ما يتَّقُونَ أبي
وقال لي قولَ ذي علمٍ وتّجربةٍ ... بسالفاتِ أمُورِ الدَّهرِ والحِقَبِ
أمرتُكَ الرُّشدَ فافعلْ ما أُمِرْتَ بهِ ... فقد تركتُكَ ذا مَالٍ وذا نَشَبِ
ونِلتَ مَجْداً فَحَاذِرْ أن تُدَنّسَهُ ... أبٌ كريمٌ وجَدٌ غيرُ مُؤتَشَبِ
لا تَبْخَلَنَّ بمالٍ عن مذاهبِهِ ... في غيرِ زلَّةِ إسرَافٍ ولا ثَغَبِ
فإنَّ ورَّاثَهُ لن يَحْمَدُوكَ بهِ ... إذا أجنُّوكَ بينَ اللَّبنِ والخَشَبِ
واترُكْ خَلائِقَ قَومٍ لا خَلاقَ لهُم ... واعْمَدْ لأخلاقِ أهلِ الفَضْلِ والأدَبِ
وإن دُعِيتَ لغَدرٍ أو أُمِرْتَ بهِ ... فاهْرَبْ بنفسِكَ عنهُ أيّةَ الهَرَبِ

فديار أسماء هي اطلال غيَّرت معالمها اثار الطبيعة، ومخالب الزمن، وقد أحس الشاعر بعوامل الفناء فقال ان هذه الديار (تستن الرياح بها)، فكانت مجمل رؤيا الشاعر لهذه الديار بأنها مكان قد وقع عليه فعل الزمان فأهدمه.

ان تجربة الشاعر إزاء ديار أسماء، والتي مشى عنها أهلها، تركت في نفسه شعورا طاغياً جعله يتحسس تجارب الماضيين من الناس، فصار ذكر أسماء في مقدمة هذه القصيدة عنصراً محفزاً امتلك القدرة على إيقاد جذوة الحماس والإحساس، إذ وظف صورتها ليعبر عن دلالات طمح الى اثارتها، ثم هيّأ منها منطلقاً نفسياً وفكرياً وفنياً ملائماً للدخول في تفاصيل الغرض الذي كانت تثيره طبيعة تجربته الشعرية (Al-Jader, 1979 AD, p. 243). ولعل هذه القصيدة صفحة من صفحات تداعي الذكريات، فهي ذكريات الاب والجد، نقل الشاعر من خلالها رؤيا خاصة لحياة كان يعيشها هؤلاء، وكان ذلك بواسطة عرضه للقيم والمثل الأخلاقية ومبادئ السلف (الاب والجد).

يذهب الدكتور عز الدين إسماعيل الى ان الفنان البارع هو القادر على ان يعمق فهمنا للحياة، وان يطلعنا على العالم الداخلي الخاص بفكره وشعوره، وان يقدم لنا كيف كان يعيش الناس في الماضي (Ismail E. E.-D., no date, p. 20)، ومما يجب ذكره ان استذكار الشاعر لتجربة اندثار ديار أسماء، ورحيل أهلها منها لا يختلف كثيرا عن تجربة الشاعر في نقل اخلاق ومبادئ اسلافه،

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

فالتجربتان وقفتا على اخبار من مضى من الناس، فضلا عن ان الشاعر في هذه القصيدة استطاع ان يعيد احياء رؤيا قدمها الأجداد، ومحاولة بعثها امام المتلقي.

والشاعر في قصيدته كان مخلصاً لحياة عاشها أولئك السلف، مما سعى الى نقلها الى الأجيال من بعده، ولقد تمتع النص بسمات فنية عالية أسهمت في التأثير بالمتلقين، ومن ذلك استعماله لبعض الفنون البلاغية كالجناس في قوله (خلائق) و(خلاق) ، وما يحدثه الجناس في النص الادبي من الحلاوة والجمال (Al-Jarjani, no date, p. 14) ، فضلا عما يؤديه من تناغم صوتي ايقاعي يؤثر في اسماع المتلقين بسبب التشابه الصوتي بين اللفظتين، وبالجدير بالذكر ان قوله (لا خلاق) يعني: ((لا حظ ولا نصيب لهم في الخير)) (al-Ifriqi, no date, p. 10/92)، وهذا المعنى يختلف كثيرا عن المعنى الذي تعطيه لفظة (خلائق) (al-Ifriqi, no date, p. 10/92) .

وانتشرت في كثير من مقاطع قصيدته تداولا ملحوظاً لبعض صيغ الانشاء كقوله: (امرتك الرشد)، (افعل ما امرت به)، (نلت مجدا فحاذر ان تدنسه)، (لا تبخلن بمالٍ)، (اترك خلائق قومٍ)، (اعمد لأخلاق اهل الفضل)، (اهرب بنفسك)، وهذا يعطي صورة واضحة لسيادة صيغ الامر، مما اسهم في ظهور السمة الخطابية في ابيات هذا الشاعر. ولا نبتعد كثيراً عن ذكر تجارب الإباء واخلاقهم، ففي نقيضة شعرية قالها العباس بن مرادس يرد فيها على الشاعر خفاف بن ندبة قبل مجيء الإسلام، قال فيها (al-Sulami, 1991 AD, pp. 117-118):

الا من مُبلِغٌ عنّي خُفَافَاً ... فإنّي لا أحَاشي من خُفَافِ
أتُهدِي لي الوَعِيدَ على التَّنائي ... وما مِثلي يُخوَّفُ بالقَوَافِي
نكحتَ وليدةً ورضِعتَ أُخرى ... وكان أبوكَ تَحمِلُهُ قَطافِ
فسائِل في قبائِلِ جذْمِ قيسٍ ... بنا عند العظَائِمِ والجُحَافِ
تُخبَّرُ أنَّنَا أولى بمَجدٍ ... توارثَهُ طِرافٌ عن طِرافِ
وأندى عندَ جَدبِ الناسِ راحاً ... وأنفعُ للأرامِلِ والضّعافِ

وهذه الابيات هي من قبيل النقيضة الشعرية، وكانت ردا على قول خفاف بن ندبة حينما هجاه بقوله (Al-Sulami, 1968 AD, p. 104):

أعباسُ بنُ مرداسِ ألمّا ... تُخَبّرْكَ المجامعُ عن خُفَافِ
فتعلمَ أنّ عُودي قد يُعيَّا ... على غَمْزِ المُقوّمِ والثّقافِ
ستأتيك القوافي من قريضي ... مُلمْلِمَةً كجلمودِ القِذافِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وتشربَ من لَظى حَربي أمرَّ بفيكَ من سُمٍ ذُعَافِ كؤوساً

والحقيقة ان العباس بن مرادس حاول في ابياته ان ينقل رؤيا إنسانية تمحورت في أهمية الارتباط بطرائق اسلافه من الشعراء الاقدمين في الرد على الخصوم، وكان ذلك في الافتتاح الذي بدأ به حينما قال (الا من مبلغٌ عني خُفَافَاً)، وهذا القول يذكرنا بقول الاعشى الكبير يهجو الحارث بن وعلة (al-A'sha al-Kabir, p. 185):

الا من مُبلِغٌ عنّي حُريثاً مُغَلْغَلَةً أحانَ أم ازدرانا

ولعل هذا يرجع الى تقديس العباس بن مرداس للتراث النصي الجاهلي، و يؤشر حقيقة ان افتتاح العباس قد تعالق ثقافياً و معرفياً مع النص الجاهلي، فغدا((النص المنتج تنزيلا لذلك النص التراثي الذي يشكل البنية الرحمية التي انبثق عنها)) (Rustom, 2017 AD, p. 95)، وهذا في حقيقته رؤيا شعرية تتصل بالارتباط بالماضي. وحينما أراد العباس ان يعرض لرؤيا اجداده الإنسانية والاجتماعية، فإنه حاول ان يندمج مع الضمير الجمعي في الابيات الأخيرة من هذه النقيضة الشعرية فقال:

١. فسائِل في قبائِلِ جذْمِ قيسٍ بنا
٢. تُخبَّرُ أننا أولى بمَجدٍ
٣. وأندى عندَ جَدبِ الناسِ راحاً
٤. وأنفعُ للأراملِ والضّعافِ

فترك الأسلوب الفردي المتبوع بالضمير (ياء المتكلم) والذي بدأ به نقيضته ولاسيما قوله: (مبلغ عني)، (فاني لا أحاشي)،(أتهدي لي الوعيد) ، (وما مثلي يخوف)، ليتحول الخطاب الى التكلم باستعمال (نا الجماعة)، ليعمد الى نقل الوعي الجمعي الذي يسهم في نشر الخير، ومساعدة الضعفاء، ومواجهة أيام الجدب، ثم يعلن الانتماء الراسخ لذلك الوعي الإنساني المستمر، ودل على استمراريته حينما اعلن توارث هذه الفضائل بقوله (توارثَهُ طِرافٌ عن طِرافِ)، وهنا تكمن رؤيا الشاعر الإنسانية والتي نقلها عن تجربة اجداده وقومه. وكان لهذا الشاعر قصيدة يعظ فيها رجلا كان ظالما لعشيرته، مثلت رفضا للظلم الاجتماعي، قال ببعض ابياتها (al-Sulami, 1991 AD, p. 65):

أراكَ أمراً في ظلمِ قومِكَ جاهِداً ومالكَ في ظُلمِ العَشيرةِ من رشدِ
فإلا تَدَعْ ظُلْمَ العشيرةِ طائِعَاً تُلاقِ أمراً من بعضِ قومِكَ ذا حقدِ
من الرّجلةِ السَّاعين او تلقَ فارساً على فَرَسٍ في الخيلِ أدهمَ ذي وردِ
جوادٍ كنصلِ السيفِ أينَ لقيتَهُ فيضرِبْكَ او يطعنْكَ طَعناً على عَمْدِ
ألم تَرَ عاداً كيف فرّقَ جمعَهَا قُييلٌ وقِدمَاً جارَ عن منهجِ القَصدِ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

فحاول الشاعر في ابياته ان يرفض (الظلم)، فكرر لفظة (ظلم) مرات عديدة، فقال (أراك أمرأً في ظلمِ قومِكَ جاهداً) و(ومالكَ في ظُلمِ العشيرةِ) و(فإلا تَدَعْ ظلمَ العشيرةِ طائِعَاً)، وهو يعتقد ان نتائج هذا الظلم ستكون (الضرب او الطعن عمداً). والحقيقة التي نرصدها في هذا النص، ان هذا الشاعر كان بارعاً في ذكر حادثة قوم عاد، حينما استعمل واحدة من اليات التناص وهي (الإحالة) على ما اشتهر من الحادثة التاريخية، لاستخلاص العبرة، ولتجنيب المتلقين ما فعله السابقون من شرور (Muftah, 1986 AD, p. 128). حاول الشاعر ان يستذكر هذه الحادثة المعروفة، مستعملا ذاكرته الفتية، ليجعل من الواقع المعاش هاجساً رافضاً للظلم الاجتماعي، وهنا تكمن فكرة الوعي الإنساني المتيقظ لدى هذا الشاعر برفضه لسلوك الرجل الظالم لعشيرته، وهذا لا يبتعد كثيراً عن إحساس طرفة بن العبد في القديم الجاهلي، حينما قال بمعلقته الشهيرة (Al-Abd, 2002 AD, p. 27):

وظلم ذوي القربى اشدُّ مضاضةً على المرءِ من وقعِ الحسامِ المُهنّدِ

رؤى جديدة في شعر العباس بن مرداس:

مثلت قضية الدفاع عن الدين الجديد، ونشر قيمه وتعاليمه الأساس الذي بني عليه الشعر الإسلامي، فحينما استطاع الإسلام ان يوحد العرب تحت ظلال لغة واحدة هي لغة قريش، وصار للإسلام الفضل الأعظم في نصاعة البنية الشعرية داخل التراكيب التي جاء بها شاعر صدر الإسلام، اضحى لهذا الشعر بناءه المتأثر بالظرف الإسلامي الجديد، فبظهور الاسلام ((ارتجت الروح العربية ارتجاجاً عنيفاً استجاب له الفكر وتغيّرت البنى الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتغيّرت المفاهيم، وتغيّرت معها اللغة)) (Al-Masdi, 1986 AD, p. 41) ، فصار لهذا الشعر رؤيا جديدة لم يألفها العرب من قبل.

كان العباس بن مرداس شاعراً عاش العصر الجاهلي وشهد الإسلام، وكان من سادات قومه بني سليم، ووفد الى النبي (صلى الله عليه وسلم) ومدحه، فأسلم ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضوان الله عليه عام (١٨ للهجرة) (al-Marzbani, 2005, pp. 134-135)، والحقيقة التي نرصدها في ديوان الشاعر ان رؤيته الدينية قد ظهرت في عدد من مقدمات قصائده، إذ اخذ المعنى الديني يتضح في شعره بشكل متزايد كلما ذكر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتحدث عن نبوته (Al-Jubouri, 1981 AD, pp. 218-219)، ولعل من امثلة ذلك قوله في مقدمة احدى قصائده (al-Sulami, 1991 AD, p. 68):

الا من مُبلّغ غَيلانَ عنّي وسوفَ إخالُ يأتيهِ الخبيرُ
وعُرْوةَ إنَّما أهدي جَواباً وقَولاً غيرَ قولكُمَا يَسيرُ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

بأنَّ محـمَّدَاً عبدٌ رَسُــولٌ لربّ لا يضلُّ ولا يجُورُ
وجدناهُ نَبِيَّاً مثلَ مُوسى فكلُّ فتىً يُخايرُهُ مَخِيرُ

وكانت هذه المقدمة خطاباً عقائدياً موجهاً لأثنين لم يشهدا حنيناً ولا حصار الطائف وهما غيلان بن سلمة الثقفي و عروة بن مسعود (al-Tabari, p. 3/81)، وتضمن هذا الخطاب رؤيا دينية، تمثلت بالتسليم والاعتقاد الراسخ بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم، وان ذلك كان من قبيل الدفاع عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعن رسالته السماوية، والتي وجدها لا تختلف عن نبوة موسى صلوات الله وسلام عليه، والتي اعلن عنها بقوله(وجدناهُ نَبِياً مثلَ مُوسى)، فقد كان الصراع محتدماً مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولذلك كان شعر العباس بن مرداس ملائما لتلك الحقبة من الصراع الديني من تاريخ الإسلام والمسلمين (Kahhala, 1972 AD, p. 86). ولعل الرؤيا الدينية تمثلت في مقدمة قصيدة أخرى، يذكر انتصار قومه للنبي صلى الله عليه وسلم، قال فيها (al-Sulami, 1991 AD, p. 83):

نصرنا رسولَ اللهِ من غَضَبٍ له بألفِ كميّ لا تُعَدُّ حواسرُهْ
حَمَلْنَا لهُ في عامِلِ الرُّمحِ رايةً يذُودُ بها في حَومةِ المَوتِ ناصِرُه
ونحنُ خضبنَاهَا دَمَاً فهو لونُهَا غداةَ حُنَينٍ يومَ صفوانَ شاجِرُه

او قوله في قصيدة أخرى (al-Sulami, 1991 AD, p. 120):

لعمري إنّي يومَ أجْعَلُ جاهِداً ضِماراً لربّ العالمينَ مُشارِكَا
وتَركِي رسُولَ اللهِ والأوسُ حولهُ أؤلئِكَ أنصَارٌ لهُ ما أُولَئِكَا
كتَارِكِ سهلِ الارضِ والحَزْنِ يبتغي ليَسلُكَ في غَيبِ الامورِ المَسَالِكَا

ومما يجدر الإشارة اليه، كان الحديث عن نصرة الإسلام هو من سمات المديح في العصر الإسلامي، والتي طرأت بظهور العهد النبوي، اذ تظهر معاني بذل الأرواح والأموال في سبيله (Al-Hamid, 1980 AD, p. 217). ولعل هذه المقدمات الدينية النبوية اخذت شكلاً فريداً ومغايراً عمّا عرفه العرب في مقدمات القصيدة القديمة قبل مجيء الإسلام، والتي وقف عليها بعض النقاد العرب القدماء من أمثال ابن قتيبة، (Qutaybah, 1966 AD, pp. 1/14-15) وفي العصر الحديث تناولها بشكل تفصيلي ناقد مثل الدكتور حسين عطوان (Atwan, p. 114)، واعتقد ان الشاعر العباس بن مرداس قد جعل من الحديث عن نبوة محمد صلى الله عليه وسلم، والانتصار له، والدفاع عن الدين الجديد، بديلا فنياً، بفعل البيئة الحياتية الجديدة، ولذلك يرى الدكتور عناد غزوان إسماعيل ان

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

دراسة البيئة التي تحيط بالشاعر تعيننا على الوصول الى رؤيته الدينية، ومدى استجابته لهذه البيئة ومتغيراتها (Ismail I. G., 1985, p. 43) .واتضحت هذه الرؤيا الدينية بشكل واضح في العديد من مقدمات قصائده الاخرى (al-Sulami, 1991 AD, p. 141/139/122) وهذا يؤكد رؤيا الشاعر الدينية التي قدست النبي صلى الله عليه وسلم في اغلب قصائده.

وبرزت رؤيا الشاعر الدينية من خلال حديثه عن بطولات قومه، حينما كانوا يتقدمون الصفوف دفاعا عن الإسلام، فيركبون الموت، ويذودون بأنفسهم دفاعا عن لواء الإسلام، فمن ذلك قوله يوم حنين (al-Sulami, 1991 AD, pp. 72-74):

ما بالُ عَينكَ فيها عائِرٌ سَهِرُ ... مِثلُ الحماطَةِ أغضَى فوقَها الشُّفُرُ

عينٌ تأوَّبَها من شَجوِهَا أرَقٌ ... فالماءُ يغمُرها طوراً ويَنْحدِرُ

دع ما تقدَّمَ من عَهدِ الشَّبابِ فقد ... ولّى الشَّبابُ وزارَ الشَّيبُ والزَّعَرُ

واذكُرْ بلاءَ سُلَيمٍ في مواطِنِها ... وفي سُلَيمٍ لأهلِ الفخرِ مُفتَخَرُ

قَومٌ هُمُ نصرُوا الرَّحمَنَ واتَّبعُوا ... دينَ الرَّسُولِ وأمرُ الناسِ مُشتَجِرُ

الضَّاربُونَ جُنُودَ الشّركِ ضاحِيَةً ... ببطنِ مكّةَ والارواحُ تَبْتَدِرُ

ونحنُ يومَ حُنَينٍ كان مَشْهدُنَا ... للدينِ عِزاً وعندَ اللهِ مُدَّخرُ

إذ نركبُ الموتَ مُخضرَّاً بطائِنُهُ ... والخيلُ يَنْجَابُ عنها ساطِعٌ كَدِرُ

تحتَ اللَواءِ مع الضَّحَاكِ يقدُمُنا ... كما مشى اللَّيثُ في غَابَاتهِ الخَدِرُ

في مأزقٍ من مَجَرّ الحربِ كلكلُهَا ... تَكَادُ تأفِلُ منهُ الشَّمسُ والقَمَرُ

سادت معالم الحزن في مقدمة هذه القصيدة الإسلامية، والقارئ لها يحس كأنها مقدمة لقصيدة رثاء، قيلت حزنا على شهداء راحلين، وهذه المقدمة التي وصف فيها الشاعر حالة البكاء وانحدار الدمع المخلوط بحالة الارق وصعوبة النوم، والذي ظهر بقوله (ما بالُ عينكَ فيها عائِرٌ سَهِرُ) و قوله(عينٌ تأوَّبَها من شَجوِهَا أرَقٌ)، انما هو استفتاح استخدمه بعض الشعراء المعاصرين للعباس بن مرداس، ولعل خير مثال لمشابهة هذه المعاني نتلقاه في قول كعب بن مالك الانصاري وهو يوصف حاله بعد استشهاد حمزة بن عبد المطلب عليه السلام، وما عانى من صعوبة النوم، لهول الخبر وعظم المصيبة (Al-Ansari, 1966 AD, p. 260):

نام العيونُ ودمعُ عينكَ يهملُ ... سحّاً كما وكفَ الطبابُ المُخضَلُ

في ليلةٍ وردت عليَّ همومُها ... طوراً أحنُّ وتارةً أتململُ

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ونلحظ استخدام الشاعرين للفظة(طوراً)، فالشاعر العباس بن مرداس يقول(فالماءُ يغمُرها طوراً ويَنْحدِرُ)، بينما قال كعب بن مالك(طوراً أحنُّ وتارةً أتململُ)، وهذا يؤكد حقيقة التأثر المتبادل بين الشاعرين.

وانسجمت هذه المقدمة مع باقي أجزاء القصيدة، لان الشاعر حاول ان ينقل للأجيال تجربة الانسان العربي وهو يدافع عن الدين الجديد، ويقدم التضحيات، وتجسد ذلك بشكل واقعي حينما تحدث عن قبيلته (سُليم)، فوصفهم بأنهم (اهل بلاء)، وانهم(يركبون الموت). ولعل الرؤيا الدينية قد تمحورت في هذه القصيدة حينما استعمل الفاظاً وتراكيب إسلامية لم يعهدها العرب قبل مجيء الإسلام، فمن ذلك مثلا قوله(قومٌ هم نصروا الرحمن) و(اتبعوا دين الرسول)، فالنصر لم يعد للقبيلة وانما للإله ولدين الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعلها رؤيا إسلامية جديدة. كما ان قوله (الضاربون جُنُودَ الشّركِ)، نقف فيها على صيغة (فاعل) التي استعملها في قوله (الضاربون)، فهي من الصيغ المستعملة لدى بعض شعراء عصره، فكعب بن زهير يقول عن الأنصار من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم (Zuhair, 2003 AD, p. 29):

والمنعمون المُفضِلُونَ اذا شَتوا والضاربون علاوةَ الجبارِ

وان قول الشاعر العباس بن مرداس (الضاربون جنود الشرك) هي رؤيا جديدة أخرى، اذ صار الشاعر ينظر الى مقاتلي الصف المشرك بأنهم جنود الشرك، و(الشرك) امر معنوي دخل الى فكر الشاعر، فهو يرى ان للشرك جنودا، وعليه ان يتصدى لهم.

كما ان قول العباس بن مرداس:

في مأزقٍ من مَجَرّ الحربِ كلكلُهَا تكادُ تأفِلُ منه الشَّمسُ والقَمَرُ

انما هو تعبير استخدمه العرب في بعض القصائد الرثائية (Al-Ani, p. 64)، فكعب بن مالك قال في استشهاد حمزة بن عبد المطلب عليه السلام (Al-Ani, Diwan Ka'b bin Malik, p. 261):

فتغيّرَ القمرُ المنيرُ لفقــدهِ و الشمسُ قد كُسفت وكادت تأفلُ

ولعل ذلك من قبيل التأثر بالمحيط الثقافي الاسلامي، الذي ينتمي اليه الشاعر العباس بن مرداس، ولعل ذلك بحسب أصحاب نظرية القراءة والتلقي من قبيل((المخزون الثقافي المختار)) (Hallen, 1998, p. 40)، ولابد لقارئ النص الشعري ان يدرك مرجعية هذا المخزون الثقافي، حتى يتمكن من محاورة النص.

كما ان قول العباس بن مرداس (اذ نركب الموت مخضراً بطائنه) هي رؤيا جديدة وهي ان المقاتل صار ينظر الى الاستشهاد طريقا الى الجنة (مخضرا بطائنه)، وهذه رؤيا ترسخت في قلب وعقل المقاتل، فلم يعد الموت موتاً بل حياةً الى عالم اخر لم يكن موجوداً من قبل.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

وتتبلور رؤى دينية جديدة لدى الشاعر وذلك حينما يريد ان يصف الكتيبة الإسلامية المقاتلة، ويقف على تضحيات قائد بني سليم الضحاك بن سفيان بن عوف بن كعب الكلابي (Abdul-Barr, no date, p. 2/742) ، ففي كل ذلك يقول (al-Sulami, 1991 AD, pp. 122-123):

يا خَاتَمِ النُّبآءِ إنّكَ مُرسَلٌ	بالحقّ كلُّ هُدى السَّبيلِ هُدَاكَا
إنّ الالهَ بنَى عليكَ مَحَبَّةً	في خَلْقِهِ ومُحمَّداً سَمَّاكَا
ثُمَّ الذينَ وَفَوا بِما عاهدْتَهُم	جُندٌ بَعثْتَ عليهمُ الضَّحَّاكَا
رجُلاً بهِ ذَرَبُ السّلاحِ كأنّهُ	لما تَكنَّفَهُ العدُوُّ يَرَاكَا
يَغْشَى ذوي النَّسَبِ القَرِيبِ وإنَّما	يبغي رِضا الرّحمَنِ ثُمَّ رضَاكَا
أُنبيكَ أنّي قد رأيتُ مَكَرَّهُ	تحتَ العَجَاجةِ يَدْمَغُ الإشْرَاكَا
طوراً يُعانِقُ باليَدَيْنِ وتَارَةً	يَفرِي الجَمَاجِمَ صَارِماً بتَّاكَا
وبنو سُلَيْمٍ مُعْنِقُونَ أمَامَهُ	ضَرْباً وطَعْنَاً في العَدُوّ دِرَاكَا
يَمشُونَ تحتَ لوائِهِ وكأنَّهُمْ	أُسْدُ العَرِينِ أردْنَ ثمَّ عِرَاكَا
هذي مشاهِدُنَا التي كانت لنا	مَعْرُوفةً ووليُّنا مَولاكَا

فرؤيا الشاعر في هذه القصيدة تتمحور في قضية الدفاع عن الإسلام، وهذه القضية المصيرية تجعل من القائد الضحاك يتقدم الصفوف، شاهرا سلاحه، ((فيخرج من تحت غبار المعارك وهو يدمغ الاشراك، وهذا ابداع في مجال التصوير الفني، فبدلا من ان يقول يمحو او يزيل قال(يدمغ)، ويدمغ أوقع في تصوير المشهد، لأن الدمغ انما يكون عن وقوع الأشياء الثقيلة)) (Ghadeeb, 2001 AD, p. 95) ،ثم قال الشاعر بأنهم (يمشون تحت لوائه) و(كأنهم أسدُ العرين) وفي قوله (تحت لوائه) يكون التساؤل: لماذا قال لوائه ولم يقل راياته؟

فبمثل هذا التساؤل بحسب هانس روبرت ياوس ستتقلص المسافة الزمنية بيننا وبين هذا الأثر الادبي القادم الينا من الماضي، ذلك لان الأثر الذي أُنتجَ في الماضي لا يمكنه أن يقدم لنا جواباً وان يقول لنا شيئاً الا اذا قمنا أولا بطرح تساؤلات حوله (Musaidi, p. 81). فالأصل باللواء هو ان يمسكها رئيس الجيش وكان النبي صلى الله عليه وسلم في مغازيه يدفع الى رأس كل قبيلة اللواء، مختصاً بقيادة القبيلة التي تدافع عن الإسلام، واللواء هو علم ضخم يكون علامة لمحل رئيس او امير الجيش يدور معه حيث دار، ولذلك كان الرسول صلى الله عليه وسلم حينما دخل مكة كان لواءه أبيض (al-Asqalani, pp. 6/126-127) .

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

ومن هنا كان لهذا الشاعر رؤيا دينية تموضعت في اكثر من قصيدة له، وقد استطاع ان ينقل لنا تجارب المحاربين وهم يخوضون غمار الحرب، ويقدمون أنفسهم قرابين لدين الله عزوجل، وقد تأثر هذا الشاعر كثيراً بمحيطه الشعري، ولم يبتعد كثيرا عن الاستعمالات الإسلامية المتداولة في عصره (Khalil, 2021, p. 1362) ، وحقا كان شعره ملائما لحياة ذلك العصر.

الخاتمة

استطاع الشاعر العباس بن مرداس ان يجعل من رؤيته الشعرية سبيلاً للتعبير عن الواقع الذي ينتمي اليه، وان يقدم بعض المواقف التي وجدها تتعارض مع قيمه العربية الاصيلة، فحاول ان يرفضها في بدايات حياته قبل مجيء الإسلام، ومن ذلك رفضه لبعض معالم الظلم الاجتماعي، لأنه وجد في ذلك سبيلا لانتشار الكراهية، كما حاول ان يجعل من قيم مبادئ الأجداد، طريقا أخلاقيا حاول ان يستمر عليه، متمسكا بالتقاليد والأعراف التي ثقفها من اسلافه القدماء، فجعل كل ذلك رؤيا أخلاقية واجتماعية حاول ان يعرض لها في بعض قصائده. كان هذا الشاعر رؤيويا، وحداثيا بالنسبة لشعراء عصره، وذلك حينما حاول ان يكسر تقاليد القصيدة العربية المتعارفة، بتأثير مباشر من الحياة الاسلامية الجديدة، فاستطاع ان يخلق نصا ادبيا، قدّم من خلاله صورة صادقة لما وقع من صراع في البدايات الأولى لمجيء الإسلام، فانطلق الشاعر من امكانياته الفنية ليقدم للمتلقين بعضا من مشاهد التضحيات، دفاعا عن حياض الإسلام. كشف البحث عن رؤيا تعمقت كثيرا في نفسية هذا الشاعر، ظهرت في عدد من قصائده، وتمثلت بفكرة نصرة النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ونشر رسالته. كشف البحث عن كثير من الاستعمالات الشعرية التي استخدمها الشاعر، متأثرا ببعض الشعراء الذين عاصروه من أمثال كعب بن مالك او حسان بن ثابت، او كعب بن زهير.

قائمة المراجع

Abdul-Barr, A. O. (no date). *Al Isteaab Fi Maarifat alAshab.* (M. Al-Bajawi, Ed.) Cairo: Nahdet Misr.

al-A'sha al-Kabir, M. i. (n.d.). *Diwan al-A'sha al-Kabir, Maimun ibn Qays.* (M. Hussein, Ed.) Model Press.

Al-Abd, T. b. (2002 AD). *Diwan Tarfa bin Al-Abd* (3rd edition ed.). (M. M. Al-Din, Ed.) Beirut, Lebanon: Dar Al-Kutub Al-Ilmiyya publications.

Al-Alaq, A. J. (n.d.). *On the Modernity of the Poetic Text, Critical Studies.* Baghdad, Iraq: House of General Cultural Affairs,.

Al-Ani, S. M. (1992). *Looks at the Poetry of Early Islam* . Baghdad, Iraq: House of General Cultural Affairs.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Al-Ani, S. M. (n.d.). *Diwan Ka'b bin Malik.* Baghdad: The University of Baghdad helped publish it, and Al-Nahda Library.

Al-Ansari, K. b. (1966 AD). *Diwan Kaab bin Malik Al-Ansari.* (S. M. Al-Ani, Ed.) Iraq: Baghdad University helped publish it- Al-Nahda Library.

Al-Asqalani, A. b. (n.d.). *Fath al-Bari, explanation of Sahih Imam Abu Abdullah Muhammad bin Ismail al-Bukhari.* (M. a.-D. al-Khatib, Ed.) Salafi Library.

Al-Awsi, S. K. (2020). *Vision and Formation in Contemporary Arabic Poetry* (1st edition ed.). baghdad, Iraq: Neipur Printing and Publishing House.

Al-Hamid, A. (1980 AD). *Islamic poetry at the beginning of Islam* (1st edition ed.). Riyadh, Saudi Arabia: Radiation Press.

Al-Ifriqi, M. I. (no date). *Lisan al-Arab.* Beirut: Dar Sader.

Al-Jader, M. A. (1979 AD). *The poetry of Aws bin Hajar and its pre-Islamic narrators.* Baghdad, Iraq, : Dar Al-Resalah- Baghdad University helped print it.

Al-Jarjani, A. Q. (no date). *Secrets of Rhetoric.* (M. M. Shaker, Ed.) Cairo, egypt: Al-Madani Press.

Al-Jubouri, Y. (1981 AD). *The poetry of the veterans and the impact of Islam on it* (2nd edition ed.). Beirut: Al-Resala Foundation.

al-Marzbani, A. U. (2005). *Dictionary of Poets* (1st edition ed.). (F. Aslim, Ed.) Beirut: Dar Sader.

Al-Masdi, A. S. (1986 AD). *Poetry and Stage Variables (On Modernity and the Dialogue of New Poetic).* Baghdad, Iraq: General Cultural Affairs House.

Al-Sulami, a.-A. b. (1991 AD). *Diwan al-Abbas bin Mardas al-Sulami* (1st edition ed.). (Y. al-Jubouri, Ed.) Beirut, lebanon: Al-Risala Foundation.

Al-Sulami, K. b. (1968 AD). *The poetry of Khafaf bin Nadba Al-Sulami.* (N. H. Al-Qaisi, Ed.) Baghdad, Iraq: Al-Ma'aref Press, and the University of Baghdad helped publish it.

Al-Tabari, A. J. (n.d.). *History of the Messengers and Kings* (2nd edition ed.). (M. A.-F. Ibrahim, Ed.) cairo, Egypt: Dar al-Maaref.

Atwan, H. (n.d.). *Introduction to the Arabic poem in pre-Islamic poetry.* Cairo, Egypt: Dar Al-Maaref.

Ghadeeb, A. S. (2001 AD). *The impact of Islam on the construction of the Arabic poem.* Amman, Jordan: Dar Al-Diyaa.

Hallen, F. (1998). *Research on Reading and Reception* (1st edition ed.). (M. K. Al-Baqa, Ed.) Aleppo, Syria: Center for Cultural Development .

Hijazi, S. (1980 AD, august). The Crisis of Contemporary Arab Criticism (Social Criticism). *Al-Aqlam Magazine, No. 11*, 184.

Ismail, E. E.-D. (no date). *literature and its arts.* Dar Al-Fikr Al-Arabi.

Ismail, I. G. (1985). *Critical and Aesthetic Analysis of Literature.* Baghdad, Iraq: Arab Horizons House.

Jabra, J. I. (1979 AD). *Springs of Artistic Vision (Critical Studies)* (1st edition ed.). Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing.

Kahhala, O. R. (1972 AD). *Arabic literature in pre-Islamic times and Islam.* Damascus: Cooperative Press.

Khalil, M. A.-J. (2021). The impact of Islam on the poetry of Al-Abbas bin Mardas Al-Sulami, a study in content and form. *Journal of the College of Arabic Language*, *36*.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)

Muftah, M. (1986 AD). *Analysis of poetic discourse (intertextual strategy)* (2nd edition ed.). Casablanca: edition of the Arab Cultural Center.

Musaidi, M. (n.d.). *Towards the Aesthetic of Reception.* Beirut, Lebanon: Dar Al-Naya for Studies and Publishing.

Qutaybah, I. (1966 AD). *Poetry and poets* (2nd edition ed.). (A. M. Shaker, Ed.) Egypt: Dar Al-Ma'arif.

Rustom, H. M. (2017 AD). *The text and the echo of the text: a new vision in Andalusian poetry* (1st edition ed.). baghdad, Iraq: Dar Al-Islam.

Zuhair, K. i. (2003 AD). *Explanation of the Diwan of Ka'b ibn Zuhair* (3rd edition ed.). (A. S. al-Sukkari, Ed.) Cairo, Egypt: the National Library and Records House.

Copyright © 2024, This is an open access article under the CC BY-SA 4.0 license
(https://creativecommons.org/licenses/by-sa/4.0/)